

دلالة العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية

سمية موساوي

السنة الثانية دكتوراه ل م د
التخصص علم اجتماع تنظيم
وموارد بشرية
جامعة البليدة - 2 -

*الملخص:

تعتبر الأمثال الشعبية جزء من التراث الشعبي لكل مجتمع فهو يعبر عن سلوكياتهم وخبراتهم، وهو بمثابة الدليل المرجعي لتاريخها كما انه يحظى بقداسة من طرف المجتمع، وبما أن ارتباط الموروث الثقافي بكافة نواحي الحياة بحيث يجسد صورا عديدة منها مفهوم العمل الذي يعتبر اللبنة الأساسية لكل امة وبه تتطور ومن هنا نكون ضمن دائرة التنمية بشقيها المحلي والعالمي ومن خلال هذه الورقة البحثية سوف نسلط الضوء على الأمثال الشعبية الجزائرية وتوضيح صور العمل فيها .

الكلمات المفتاحية : المخيال الشعبي ، العمل، الأمثال الشعبية ، المجتمع .

• Abstract :

Proverbs are part of the folklore of every society it reflects their behaviors and experiences... etc. It serves as a reference for its history guide as he enjoys holiness by the community, including the cultural heritage association in all aspects of life, so that the body of many photographs, including the concept of work, which is building block the core of each nation and has evolved here and be part of development in both its domestic and global circle and through this paper will highlight the Algerian popular proverbs and clarify the images to work with.

Key words: the popular imagination, work, folk proverbs, society.

*** مقدمة :**

إن مفهوم العمل أخذ أشكالا عدة، فمن استهجان العمل البسيط إلى تقديس العمل بشتى أنواعه مع ظهور الأديان، لكنه يبقى مفهوما معبرا عن كينونة الإنسان واثبات وجوده لان بالعمل يثبت الإنسان ذاته ووجوده ليس هذا فحسب لكن بواسطته تتطور الأمم وتزدهر، والواقع أكبر دليل على ذلك فالدول التي تطورت أصبحت في المقدمة بفعل العمل الدؤوب وللتعبير عن ذلك سعت المجتمعات في جعل ذاكرتها الشعبية ممثلة في الأمثال الشعبية التي تتداول بين السنة أفرادها بناء على عدة معطيات (الخبرات، التجارب.....). الخ والمجتمع الجزائري لا يشذ عن هذه القاعدة وبناء على ما تقدم ذكره سوف نحاول معالجة الإشكالية التالية : فيما تمثلت أوجه العمل من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية ؟

وفي محاولة معالجة الإشكالية سوف نتطرق لها في المحاور التالية :

1. العمل كوجه من أوجه نشاط الإنسانية.

2. الأمثال الشعبية كتعبير عن الذاكرة الشعبية.

3. صورة العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية.

**1. العمل كوجه من أوجه نشاط الإنسانية :**

لغة : عمل يعمل : عملا، فعل بقصد وفكر .

يبرز التعريف اللغوي للعمل النشاط أو الفعل الذي ينجزه الفرد أو العامل عن قصد ولتحقيق هدف أو غاية".

التعريف الاصطلاحي : أشار " G.Freidmann " فريدمان في كتابه رسالة في سوسيولوجية العمل " هو مجموعة نشاطات ذات هدف إجرائي يقوم بها الإنسان بواسطة عقله و يديه و الأدوات و الآلات، و ينفذها على المادة، هذه النشاطات تسهم بدورها في تطويره .⁽¹⁾

• طبيعة العمل وأهميته :

- العمل ضرورة اجتماعية واقتصادية في حياة الإنسان.
- العمل عبارة عن حلقة تواصل بالمجتمع ويجنب الإنسان البطالة.

- العمل يساعد الفرد على تحقيق الصحة النفسية والبدنية والعقلية.
 - بالعمل يستطيع الفرد تحقيق ذاته وبلوغ طموحاته.
 - العمل واجب وحق شرعي في كل المجتمعات ومقدس في بعضها وعبادة في مجتمعات أخرى.
 - بالعمل يمكن للإنسان أن يشعر بالسعادة. (2)
- من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن العمل نشاط إنساني ضروري وهادف يحقق من خلال الفرد غاياته وأهدافه وأهداف مجتمعه كافة من خلال أوجه النشاطات المختلفة التي يشغلها الفرد ولعل أسماها الاقتصادية التي تحقق التنمية المحلية للبلدان وإذا تحقق ذلك فلا شك أن بلوغ العالمية منها آت في الطريق.

2. الأمثال الشعبية كتعبير عن الذاكرة الشعبية :

* تعريف المثل :

لغة: مثل : الميم والثاء واللام، أصل صحيح ، يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمِثْل والمثال في معنى واحد، وربما قالوا مِثْل كشيء. (3)

اصطلاحاً: يمكن تعريف المثل على أنه جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهية من جيل إلى آخر وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات. (4)

* أهمية الأمثال الشعبية:

تعد الأمثال الشعبية تعبيراً شعبياً، يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان من خلال ممارسة الحياة نفسها؛ وهي خبرة أدركها الإنسان من خلال عملية إدراكية جمعية تخرج به من إطار التجربة الذاتية، إلى مجال الخبرة الجماعية، التي تعبر عن فكر ووجدان جمعي.

والأمثال الشعبية هي تسجيل قولِي كلامي، في جمل قصيرة لبعض ما مر بالإنسان من أحداث، استخلص منها مآثر ومواعظ، فقلّ أن تجد مثلاً لا يحمل معه الشرح الكاشف لمجرى أحداث القصة، وما كان من أشخاصها، فهي تكشف بدلالاتها عن أن فعل الإنسان، إذا فقد قيمته الإيجابية في الحياة، تحول هذا الفعل إلى

انتقاص من قيمة الإنسان نفسه صاحب هذا الفعل وقد أبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث ف سجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر مما جعل الأمثال تأخذ جانبا خاصا من ألوان القول، وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور، وعلى السلوك الإنساني، وذلك عكس الحكمة التي تبقى كما هي كلمات ليس معها هذا التفصيل الكاشف فالمثل أقوى تأثيرا في العلاقات الاجتماعية، وألصق بحياة الناس، حتى الوقت الحاضر، ومرد هذه الظاهرة في رأي التلي بن الشيخ، أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معينة، مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة، سواء أكان السلوك فرديا أم جماعيا، وارتباط المثل بالسلوك ، يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعا والعكس واضح في القصص، والشعر معا، فالقصيدة الغزلية مثلا، قد تحتفظ بتأثيرها مدة أطول من تأثير شعر الحماسة أو شعر الرثاء، لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى؛ بينما لا تحافظ قصيدة الحماس على نفس التأثير لهذا قيل إن المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية.(5)

• خصائص الأمثال:

المثل والعبارة الشعبية من الأشكال الأدبية التي لها عناصرها المميزة وسماتها المحددة؛ تقوم على إسقاط تجربة سابقة على تجربة حالية . وهي ليست وفقا على طبقة معينة من الناس بل ما تواضعت عليه العامة والخاصة واصطلحت عليه . يقول رشدي صالح " : الأمثال بنود في دستور غير مكتوب، تعبر عن تجارب العامة، وتصور مواقفهم من مشكلات الحياة، فلا نجد وجها من وجوها إلا وأطلق فيه العامة عشرات الأمثال والأقوال وهو يشير بكلمة "الأقوال "إلى العبارات الشعبية . ونظرا لخاصية التداول المميزة لها، فهي تميل لأن تصبح ذات أشكال قارة يتواضع عليها الناس فتعدو تراثا يحفظ كما جاء دون تغيير.(6)

من خلال ما تقدم ذكره يمكن القول إن الأمثال الشعبية هي تعبير عن ذاكرة مجتمع حاول أن يحدث اتصالاً مع الأجيال التي تليه لأن هذه الأخيرة هي تعبير عن تجارب وخبرات هذا الجيل الذي ترك نماذج للجيل لكي يقتدى بها أو يستفيد منها ولو تمحصنا أكثر في كنه هذه الأمثال الشعبية لوجدناها في الحقيقة عبارة عن رباط تماسك اجتماعي للمجتمعات . تناولت الأمثال الشعبية الجزائرية جملة من الموضوعات ولعل أهمها موضوع العمل الذي أضحي الشغل الشاغل لكل المجتمعات قاطبة وذلك لكون الأهمية التي يكتسبها موضوع العمل بحيث أصبح مصير الأمم يتعلق بحجم الإنتاجية لأن هذا الأخير هو الفاصل في الحكم على تطور البلدان وعلى هذا الأساس وقع الاختيار على موضوع العمل لمعرفة مدى تضمين الأمثال الشعبية الجزائرية لموضوع العمل.

3. صورة العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية :

أ- الأوجه الايجابية للعمل والعكس بالنسبة للبطالة :

إن الدعوة إلى العمل والحث عليه ظل الشغل الشاغل للذاكرة الشعبية والتي ترى فيه الطابع المميز للإنسانية الإنسان ولبداية استمرارية حياته أو كما قال جوته في فلسفته عن الحياة والإنسان والوجود أن في البداية كان العمل، أي البداية الأزلية للإنسان كان أساسها العمل، وبه وحده اقتحم الإنسان هذا الفضاء الدنيوي.

لقد تحدثت الذاكرة الشعبية عن العمل وحثت عليه بأسلوبها الخاص والخالد من خلال أشكال تعبيرية شعبية بسيطة المستوى اللغوي التركيبي ولكنها عميقة المستوى الدلالي الرمزي. لقد جاءت اغلب النصوص في صيغة الأمر:

- اخدم تريح .
 - اشق تلقى .
 - اخدم برطل ولا تعطل .
 - اخدم بفلس وحاسب الناعس.
 - تحركوا ترزقوا.
 - كل شيء بالأمل إلا الرزق بالعمل.
- جاءت الأمثال الشعبية ذات الصلة بفضاء العمل كسلطة قانونية اجتماعية تعمل من أجل تجاوز الواقع الاجتماعي بقيمة السلبية وإصلاحها

وذلك وفق رؤية وفلسفة شعبية تبحث من أجل تأصيل قيم ايجابية يفتقر إليها الواقع التمس :

● القيمة السلبية :

- الكسل ما يعطي العسل ← الكسل ≠ العسل .
- رأس الكسلان يأكله الشيطان ← الكسلان = الشيطان .
- قلة الشغل مصيبة ← قلة الشغل = مصيبة .

● القيمة الايجابية :

- اخدم تربح ← اخدم = تربح .
- الحركة بركة ← الحركة = بركة .
- تحركوا ترزقوا ← تحركوا = ترزقوا .

جاءت الأمثال الشعبية ذات الصلة الوثيقة بالدعوى إلى العمل من أجل الخروج من الدائرة السلبية بقيمتها المنحلة (الكسل، الشيطان، المصيبة) والانتقال إلى الدائرة الايجابية (الربح، البركة، الرزق)، ولا تحقق هذه النقلة إلا بفضل العمل .

ومن هذا المنطلق، فإن المثل الشعبي جاء محملاً بقيم تحركه كدستور وقانون ثقافي اجتماعي يساهم بقسط وافر في تنظيم حياة الفرد، حيث له من القوة الفكرية والفلسفية ومن الحضور والانتشار الشعبي ما يؤهلانه لأن يكون موسوعة قانونية مدنية وجنائية وإدارية تسهر على حياة الفرد أخلاقياً، اجتماعياً، ثقافياً، سياسياً، اقتصادياً، وذلك في حدود ما تشيعه بنية نصوص الدلالية والرمزية من نواه و أوامر وتوجيهات ونصائح.... فالمثل الشعبي أو الإنتاج الأدبي على حد تعبير لوسيان كولدمان، ليس انعكاساً بسيطاً للوعي الجماعي الواقعي، ولكنه يميل دائماً إلى أن يبلغ درجة عالية من الانسجام، تعبر عن طموحات التي ينزع إليها وعي الجماعة التي يتحدث الأدبي باسمها ويمكن تصور هذا الوعي كحقيقة موجهة من أجل حصول الجماعة المذكورة على نوع من التوازن في الواقع الذي تعيش فيه .

إن الدعوة إلى العمل والحث عليه تجسدت صورتها من خلال تلك الأمثال الشعبية التي تحتزنها الذاكرة الشعبية وتحركها عند المناسبة في

شكل نصائح وأوامر ونقد وإشادة بأخلاق العمل والعامل وذم سلوك البطال والبطالة والكسل. (7)

تضمنت فحوى الأمثال الشعبية عدة فوائد وذلك بتقديس العمل وذم الإنسان الكسول من خلال إعطاء ربط عدة كمات مدح مثل الربح والبركة كدلالة على حب العمل وهذا أن دل على شئ وإنما يدل على إدراك هذه المجتمعات لأهمية العمل الحقة.

ب. فوائد العمل من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية :

فالعمل هو الحياة والدعوة إلى العمل هي أيضا دعوة إلى حب الحياة وممارستها اجتماعيا، بيولوجيا، اقتصاديا، ثقافيا . فالخطاب الشعبي يردد بدون حدود ولا هوادة وفي كل المناسبات وبوعي عميق على أن أساس الحياة بمفهومها الشامل هو العمل .

■ اشكون يعطيك الخبز يا نعلان .

■ ما أحلى خبز عرق الحبين .

■ اليددين الكوخل يجبيوا الخبز الأبيض .

لم تمر معاني هذه الخطابات الشعبية بصمت على الذات الشعبية الناتجة والمنتجة لها في نفس الوقت، فقد كانت رحما واسعا تربت في أحشائه فلسفة شعبية عميقة وخالدة ارتبطت وظيفتها الاجتماعية والثقافية بالحياة فكان العمل (الحركة، الخدمة، الشقاء، التعب، العرق) هو الحياة الرزق- الصحة – الشرف وأن الدعوة إلى العمل والحفاظ على قداسة فضائه هي في نفس الوقت حفاظ الإنسان على إنسانيته ووجوديته الشاملة المادية والمعنوية . (8)

ج. البصمة الدينية لأهمية العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية :

إن الإبداع الشعبي عبر الأمثال الشعبية المتعلقة بفضاء العمل ما تحمله بين طياتها من نظرة وفلسفة عميقة في بناء المجتمع، عرف كيف يصور ببلاغة أدبية شعبية خطورة البطالة والكسل على حياة الفرد والمجتمع، وقد شبه في هذا الصدد البطال أو الكسلان بالشيطان وبكل ما يجمل هذا الأخير من قيم ورموز سلبية سواء في الفضاء المقدس أو الفضاء المدنس، فكان البطال أو الكسلان شيطان، أي رمز للسوء وللفضى والانحراف والتخلف والخروج عن المنظومة والثقافية التي سنّها الإنسان العاقل العامل .

فالعمل هو الحياة، الجاه، هو الشرف، هو الصحة، ناهيك عن كل هذا، فالعمل عبادة وتقربا إلى الله سبحانه وتعالى . وقد استمدت الذاكرة الشعبية الطابع المقدس للعمل من العقيدة الإسلامية التي تحت على العمل في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي كان لها حضور قوي في الأمثال الشعبية ذات الصلة بالعمل. ومن هذا المنطلق ووقفت الذاكرة الشعبية موقفا ايجابيا إزاء الإنسان العامل وموقفا سلبيا إزاء الإنسان الكسلان .

فالإنسان العامل مهما كان دخله المادي قليلا أو ضعيفا فإن دخله المعنوي كبير ولا تحده حدود ولا تقيسه مقاييس . فالعمل يتقرب إلى الله، وبالعامل يصون كرامته وشرفه وصحته وحياته ومحيطه، وبالعامل أيضا يصون نفسه من الاهانة والذل والسرقة والفقر والانحراف .

- اللهم يقولوا يا سقاي ولا يقولوا سارق .
- بيع بخمسة واشري بخمسة يرزقك ربي بين الخمستين .
- اخدم وافلح، الزرع لا ما غناك يسترك .

في حين أن الإنسان الباطل عن العمل يظل في البؤرة الفلسفية للذاكرة الشعبية محل سخط واتهام وبالتالي يبقى مؤهلا لفراغ مادي ومعنوي رهيب يقوده حتما إلى سلوكات خطيرة قد تدمره وتدمر ذات مجتمعه .

- الكسل ما يعطي العسل .
- لا وجه لسعاية لا درع للخدمة .
- اللسان الطويل والذراع البارد .

لقد صورت نصوص الأمثال الشعبية التي استنتقنا بعضها في هذه الدراسة العمل كصورة وكقيمة ايجابية بيولوجيا، ثقافيا واقتصاديا، كما صورت البطالة صورة سلبية قاتمة قريبة من الموت أو مؤدية إلى الموت والفناء والضياع، وذلك من خلال الحقول الدلالية التي ذكرنا بعضها آنفا، فبين الدعوة إلى العمل والسقوط في البطالة أو العمل مسافات قد تلهم الحياة أو تؤدي إلى الموت .

ويظهر ذلك جليا مما تشيعه تلك الأمثال الشعبية سواء على مستواها اللغوي السطحي أو على مستواها الدلالي و الرمزي العميق . فهي تكشف عن حالات ومواقف نفسية، اجتماعية واقتصادية وعقائدية مختلفة باختلاف حضور الإنسان في عالم العمل أو في عالم اللاعمل . في عالم مقبول ايجابي أو عالم مرفوض سلبي . وقد يتشكل العالم المقبول من الدعوة

الملحة والأساسية إلى العمل بكل ما يحتويه من عناصر بنيوية صغرى: الحصول على الأكل، والمشرّب والملبس، والمبيت- الصحة- السعادة- الشرف الانتماء إلى الجماعة والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية- التعاون والمساهمة في البناء- إثبات الذات ..

في حين يتشكل العالم المرفوض من الهروب من العمل والسقوط في البطالة والكسل بكل ما توحى إليه أو يتبعها من انكسارات : الجوع- الفقر- الاهانة – السرقة – المرض- الانحراف- تدمير الذات – تدمير الآخر، فبين العالمين يتجسد مفهوم وصورة العمل كقيمة اجتماعية وثقافية كما وصفته وأرادت الذاكرة الشعبية أن تغرسه في وعي الفرد .

لقد عمدت الذاكرة الشعبية على تقديس العمل وتنظيمه وفق قوانين اجتماعية ثقافية محلية تضمن للفرد حياة سليمة، نزيهة وشريفة حيث لا يسيء لذاته ولا للآخرين.

إن حديثنا عن العمل كإنتاج ثقافي اجتماعي وأيضاً كمنتج لثقافة يتعدى الطرح المادي والإداري والرسمي، فالعمل هو قبل كل شيء هوية، أي هوية الفرد كإنسان حي عاقل ينتمي إلى جماعة، إلى ثقافة وإلى حضارة. فبالعمل يترجم ويحقق إنسانيته التي تميزه عن باقي المخلوقات، وبالعمل يسجل حضوره الزمني والمكاني و الفكري في هذا الوجود حيث بالعمل يتموقع حضوره بين الفضاءين : فضاء العمل أو فضاء الحياة وفضاء اللاعمل و فضاء الموت، فهو مرشح لمجابهة السؤال الوجودي الخالد: كن أو لا تكون، فإن تكنْ كائنًا حيًا ثقافيًا واجتماعيًا عاملاً، أو لا تكون كذلك وبالتالي مرشح للموت واللاوجود .

لقد كشفت لنا الذاكرة الشعبية من خلال أمثالها الخالدة صورة العمل الذي ارتبط بحياة الإنسان، بعقيدته، بشرفه، بهويته، بثقافته وباجتماعياته حتى أصبح العمل هو هوية الإنسان في هذا الوجود وحياته بمفهومها الشامل (9).

استمدت الأمثال الشعبية الجزائرية من المرجعية الدينية الإسلامية وهذا يعبر عن مدى تمسك هذه المجتمعات بالدين بالإضافة إلى تعزيز أفكارها لا عطاها جانب القداسة.



*** خاتمة :**

تضمنت أوجه العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية من خلال ثلاث نقاط أساسية تمثلت في تبيان الأوجه الايجابية للعمل وكذا فوائده بالإضافة إلى تدعيم ذلك بالمرجعية الدينية الإسلامية كأساس داعم للعمل ومن هذا يمكن القول إن المجتمع الجزائري ركز على مفهوم العمل لأنه أدرك الأهمية التي يكتسبها العمل والفائدة التي تعود على المجتمع من جراء فهم المجتمع لها .



* قائمة المراجع :

- 1- خروف حياة، تصورات العمل لدى إطارات الهيئة الوسطى والعمال المنفذين دراسة مقارنة بين مؤسسة إنتاجية وخدمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم النفس، تخصص علم النفس الاجتماعي في التنظيم والتسيير، جامعة باجي مختار عنابة الجزائر، 2005-2006، ص ص 61-62.
- 2- عماد لعلاوي، مفهوم العمل لدى العمال وعلاقته بدافعيتهم في العمل الصناعي من خلال إشباع الحوافز المادية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا، تخصص علم النفس العمل والتنظيم، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة الجزائر، 2011-2012، ص 21.
- 3- كريمة حجازي، صورة المجتمع في الأمثال الشعبية الجزائرية (دراسة في الموضوعات والخصائص)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة الجزائر، 2007-2008، ص 30.
- 4- جمال طاهر، داليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية دراسة علمية، ص 25.
- 5- لخضر حليتي، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب شعبي جزائري، جامعة المسيلة الجزائر، 2009-2010، ص 43-44.
- 6- صيفور سليم، الأمثال الشعبية كخلفية للعنف في المجتمع الجزائري، دراسة تحليلية فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04 : مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر 2، 07-08 ديسمبر 2011، ص 86.
- 7- محمد سعيدي، صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري مجلة إنسانيات الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ص 28-30.
- 8- مرجع سابق، ص 30.

9- مرجع سابق، ص 31-34 .

